عِلْمُ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَأَثَرُهُ فِي الْأُمَّةِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقًا"

عِلْمُ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

وَأَثَرُهُ فِي الأُمَّةِ

تأليف

فضيلة الشيخ العلامة

ربيع بن هادي عمير المدخلي حفظه الله

رئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية "سابقاً"

للنشر والتوزيع

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحَمدَ لله، نَحمَدُهُ، وَنَستَعِينُهُ، وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بالله مِن شُرُورِ أَنفُسِنا وَسَيِّئَاتِ أَعمالِنا، مَن يَهدِهِ الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لا إِلهَ إِلَّا الله، وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ

لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أمَّا بَعدُ:

فَإِنَّ أصدقَ الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخيرَ الهَدي هَدي مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلالَةٌ.

مرحبًا بكم أيها الأحبة والأبناء والإخوة في الله -تبارك وتعالىٰ- في هذا اللقاء الطيب المبارك، الذي أرجو الله -تبارك وتعالىٰ- أن يرزقنا فيه العقول الواعية، والنفوس المتعطشة إلىٰ العلم النافع والعمل الصالح، وإلىٰ التمسك بالكتاب والسنة، وأن يجعلنا من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

والذي في ذهني أن العنوان كان «الاتباع وأثره في تزكية

النفوس»، والعنوان الجديد: «**التمسك بالكتاب والسنة...**» إلخ، وكلاهما يلتقيان في غاية واحدة، فسواء تكلمنا بهذا أو بذاك فالمقصود واحد.

وعلىٰ كل حال: فالاتباع يتطلب العلم، والتمسك بالكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح لا يقوم إلا علىٰ العلم.

ومن هنا قال الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «باب: العلم قبل القول والعمل»، واستشهد بقول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد:١٩] قال: «فبدأ بالعلم».

والعمل والقول لا يصحان إلا بالعلم، ﴿ وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌ ﴾ [الإسراء:٣٦] لا في قول ولا في عمل، فالعلم هو الأساس، والأساس في حياة هذه الأمة من أولها إلىٰ أن تقوم الساعة، ولا قيام لهم ولا سعادة لهم إلىٰ بالعلم الذي هو الوحي، والمتمثل في الكتاب والسنة.

وقد عرف أسلافنا الصالحون قيمة العلم ومكانته، وكان الصحابة يتوافدون من أنحاء الجزيرة ليتلقوا العلم من رسول الله ﷺ انطلاقًا من قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:١٢٢].

وكان في عهد الصحابة يرحل الأذكياء والمخلصون من التابعين من العراق ومن غيره إلىٰ المدينة من أجل مسألة واحدة ومن أجل حديث واحد، لماذا؟ لأنهم عرفوا قيمة العلم، الذي تقوم عليه سعادتهم، وتقوم عليه عزتهم، ويقوم عليه اجتماعهم، وتتوحد بهم كلمتهم وصفوفهم.

فالعلم عرفه السلف، العلم الذي جاء به محمد ﷺ، الذي من خالفه فقد هوىٰ، ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة:١٢٠].

العلم الذي يرفع الله به عباده المؤمنين درجات، ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

العلم الذي يكسب خشية الله وتقواه ومراقبته، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا﴾ [فاطر:٢٨].

والله -تبارك وتعالى- أمر رسوله -عليه الصلاة والسلام- بالاتباع فقال: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس:١٠٩].

والذي أوحاه إليه هو العلم، علم الكتاب والسنة، نصوص الكتاب والسنة، وهو لا يتبع إلا العلم، إلا الوحي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٨-١٠٩].

فهذا الذي جاء به محمد ﷺ هو الحق، وهو الوحي، وهو العلم.

والرسول -عليه الصلاة والسلام- وأمته مأمورون باتباع الحق واتباع العلم، والحق هو العلم، والقرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة المطهرة التي هي الحكمة، وهي البيان والشرح والتفصيل، وتقييد المطلقات، وتخصيص العمومات.

فإن الله وَكَل إلىٰ هذا الرسول الأمين الكريم -عليه الصلاة والسلام- أن يبين للناس هذا القرآن الكريم، وأن يبين لهم مقاصده ومراميه، بالتخصيص والتقييد، والتفسير والتبيين والتفصيل -صلوات الله وسلامه عليه- ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

فقام الرسول -عليه الصلاة والسلام- بهذا البيان علىٰ

أكمل الوجوه، وبلَّغ القرآن والسنة، وأشهد الأمة في أعظم المواقف في حجة الوداع: «أَلَّا هَل بَلغتُ؟». قالوا: نعم. قال: «اللهُم فَاشهَد».

خطب فيهم خطبة، وبين لهم أمورًا عظيمة في الحلال والحرام والمناسك وما شاكل ذلك، ثم قال: «أَلَّا هَل بَلغتُ؟». قالوا: نعم. قال: «اللهم فَاشهَد»(١).

وامتنَّ الله -تبارك وتعالىٰ- علىٰ هذه الأمة ببعثة محمد ﷺ، وما جاء به من العلم والحق والهدىٰ والنور -عليه الصلاة والسلام-: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] فهذا من سورة آل عمران.

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٤١) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

وقال تعالىٰ في سورة الجمعة: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة:٢].

كانوا في جاهلية جهلاء، لا علم ولا كتاب، وفي فترة طويلة مرت عليهم ما جاءهم من نذير، فجاءهم هذا الرسول الكريم وهم أجهل الناس وأضل الناس، فهداهم الله به، وأنقذهم بدعوته ورسالته من النار، كما قال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران:١٠٣].

كانوا علىٰ أسوأ الأحوال من العداوة، والبغضاء، والأحقاد، والتفرق، والتشتت، والسلب، والنهب، والفوضىٰ؛ فالله -تبارك وتعالىٰ- أنقذهم بمحمد ﷺ في هذه الحياة

الدنيا، فصاروا أرقىٰ الأمم، وتبوءوا أفضل حضارة عرفتها الإنسانية -رضوان الله عليهم-، فصاروا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالله، كما زكاهم الله -تبارك وتعالىٰ- بذلك وزكاهم رسوله -عليه الصلاة والسلام-: «**خَيرُ النَّاسِ قَرنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُم**»[(١)].

والشاهد: أن العمل والاتباع لا يقومان إلا علىٰ ساق العلم وقاعدة العلم، والعلم لا يكون إلا علم الكتاب والسنة، العلم الممدوح والعلم الذي ينقذ الله به الناس من الشقاء والضنك في هذه الحياة الدنيا، ومن الضلال هو القرآن والسنة.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه.

﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣-١٢٦].

فهذا العلم الذي جاء به محمد ﷺ من كتاب وسنة لا يصح عمل، ولا يصح قول، ولا يعتبر شيء منها إلا إذا كان مستمدًّا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، فالأقوال والأفعال والأحكام وسائر الأعمال -أعمال القلوب وأعمال الجوارح- لا تكون صحيحة مقبولة عند الله -تبارك وتعالىٰ-، وفي هذه الحياة الدنيا، فيما يتعلق بأعمال العباد فيما بينهم وبين الله، وفيما يتعلق بالحقوق فيما بين العباد، لابد أن يكون ذلك منبثقًا عن كتاب الله وعن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فأقوالنا كالصلاة والزكاة والحج وسائر الأعمال لا تصح ولا تقبل إلا إذا قامت علىٰ العلم مطابقة ما جاء به محمد ﷺ.

ولابد في كل الأعمال العبادية مع العلم من الإخلاص لله رب العالمين، والإخلاص بينه القرآن والسنة، فأي عمل لا يقصد به وجه الله -ولو كان منبثقًا من الكتاب والسنة- لا يقبل، ولو كان العمل قائمًا علىٰ الإخلاص والتجرد ولم يطابق الكتاب والسنة فلا يقبل، ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

فالعمل لا يكون صالحًا إلا إذا كان مأخوذًا من كتاب الله ومن سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، ولا يكون خالصًا لله إلا إذا خلا من الشرك بالله -تبارك وتعالىٰ-، إلا إذا خلا من الشرك بأنواعه -الخفي والظاهر، والأصغر والأكبر-، لابد من مطابقة ما جاء به محمد ﷺ، ولابد فيه من الإخلاص لله،

ومن التجرد من كل أنواع الشرك الأكبر والأصغر.

ومن ذلكم الرياء: فلو عبد الله ليلًا ونهارًا بغير علم وبغير إخلاص فيصدق عليه قول الله -تبارك وتعالىٰ-: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٣-١٠٤].

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾ [الغاشية:٢-٥].

هؤلاء الذين يتعبدون وينصبون ويتعبون في الصوامع والكنائس وغيرها لما كانت أعمالهم خالية من الإيمان والتوحيد، وبعيدة عن الكتاب والسنة كان هذا مصيرهم ومصير المرائين والمشركين في أعمالهم بالله -تبارك وتعالىٰ-، وما دلت عليه هذه الآية التي تلوناها سابقًا يظن نفسه أنه يحسن العمل، وهو يعمل، ويتقرب إلىٰ الله بأسوأ الأعمال، لأنها

قائمة علىٰ الضلال أو علىٰ الشرك أو علىٰ الجهل أو علىٰ الجميع.

فعلىٰ الأمة الإسلامية أن تتعلم لتصح أعمالها وأقوالها، ولهذا كان العلم فريضة علىٰ كل مسلم، فعلىٰ المسلم أن يتعلم العلم الذي يصحح به عباداته ومعاملاته.

وعلىٰ الأمة أن ينبغ فيها علماء يتعلمون فروض الأعيان وفروض الكفاية، وعلىٰ سائر الأمة أن تتعلم، كل شخص يتعلم ما يلزمه من فروض الأعيان، لأن فروض الأعيان تلتقي فيها الأمة علماؤها وجهالها، علماؤها وعوامها يلتقون في كثير من الأشياء، تتعين هذه الأمور علىٰ الجميع، وقد ينفرد بعض الأشخاص، يختلفون فيما يجب عليهم من فروض الأعيان، كلٌّ علىٰ حسب حاله.

فالفقير لا يلزمه ما يلزم التاجر من تعلم ما يصح به بيع

التاجر وشراؤه، والذي لا يجد مالًا لا يجب عليه أن يتعلم أمور الحج، حتىٰ يحصل من المال ما يساعده علىٰ القيام بفريضة الحج حينئذٍ يلزمه أن يتعلم ما يصحح به حجه، وهكذا.

الشاهد: أن الأعمال لابد أن تكون قائمة علىٰ العلم، والذي يعجز أن يهتدي بنفسه إلىٰ معرفة المسائل وأحكامها فعليه أن يسأل أهل الذكر، وأهل الذكر يجب أن يقولوا للناس: قال الله كذا، وقال رسول الله كذا، لأن الذكر هو القرآن والسنة وأن يُفتوا الناس بما تضمنه الكتاب والسنة، فتكون أعمال الناس -علماؤهم وجهالهم- قائمة علىٰ كتاب الله وعلىٰ سنة رسول الله ﷺ، عقائدها، عباداتها، مناهجها، معاملاتها، سياستها قائمة علىٰ العلم علم الكتاب والسنة.

فإذا كانوا علىٰ هذا الوجه، وعلىٰ هذه الحال فهم

متبعون، وإذا كانوا علىٰ غير ذلك فهم ليسوا بمتبعين، وإنما يتبعون أهواءهم، وإنما هم مبتدعون.

ولا تكون الأمة علىٰ هذه الحال كلها -والحمد لله-، فإن في هذه الأمة من يقوم وينهض بواجب العلم، وواجب العمل علىٰ نسق ما كان عليه الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

ومن هنا قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِن أُمتِي عَلَىٰ الحَقِّ ظَاهِرِينَ، لَا يَضُرهُم مَن خَذَلَهُم وَلَا مَن خَالَفَهُم حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعدُ اللهِ**»(١).

وأخبر الرسول -عليه الصلاة والسلام- أن هذه الأمة «**تَفتَرِقُ إِلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبعِينَ فِرقَةً، كُلهَا فِي النَّارِ إِلا وَاحِدَةٌ**». قالوا: مَن هي؟ قال: «**مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي**»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٣).

ما أنا عليه وأصحابي من العلم الناشئ عن الكتاب والسنة، ومن العمل القائم على هذا العلم.

والفِرَق الضالة خالفت في هذا العلم، فحرفت وأولت، وخالفت في العمل نصوص الكتاب والسنة، فكانوا من هذه الفرق.

والفرقة الواحدة أو الوحيدة التي هي الطائفة المنصورة نالت هذه المزية وهذه المكانة، لأنها ثبتت على ما عليه رسول الله ﷺ من العلم والعمل القائمين على كتاب الله وعلى سنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-.

فالعلم واللهِ يزكي، العلم النافع والعمل الصالح يزكي النفوس ويطهرها من الشرك، والضلال والجهل، والكفر، والبغي، والعدوان، ويعلمها، ويربيها، ويزكيها بالعقائد الصافية، والمناهج الصحيحة، والأخلاق الفاضلة.

ومن أراد أن يرى التزكيات أو النفوس الزكية فليقرأ تأريخ الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - والذين اتبعوهم بإحسان، ليرى ما يظهر أثره من العلم، ومن العمل، ومن الإخلاص، واليقين، والصدق، والوفاء، والبر، والعدل، والإنصاف، وكل أوصاف الكمال التي يكمل بها البشر.

يرى في أصحاب محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس كما وصفها الله ﷻ، لأن الخيرية هذه شاملة لكل جوانب الحياة، الحياة في النفوس، في التعامل، في الأخلاق، في الجهاد، في الإخلاص، في كل الشئون التي ترى أهلها في غاية الزكاء، وغاية الصفاء، وغاية النقاء، فلو درست تاريخ البشرية كلها لا تجد أنقى وأصفى وأزكى وأعلى أخلاقًا من هذه الأمة التي تصدرت أمة محمد ﷺ وهم أصحاب محمد ﷺ.

﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

صفات عظيمة يدخل فيها الأخلاق، والعدل والإنصاف، والتوكل، واليقين، وصفاء النفوس، وصفاء الجوارح وطهارتها من رذائل الأخلاق، ومن رذائل الشرك، ومن رذائل الضلال، ومن رذائل الظلم، والعدوان، والبغي، تجد أنقىٰ البشر وأصفاهم وأزكاهم وأقربهم إلىٰ الله بعد الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

فلندرس تاريخهم ومواقفهم وجهادهم ودعوتهم وتبليغهم، لنرىٰ أنهم قد حازوا قصب السبق في كل ميدان وفي كل مجال، ولهذا جعلهم الله -تبارك وتعالىٰ- مقياسًا لمن يأتي بعدهم، كما قال -تبارك وتعالىٰ-: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥].

وجعلهم رسول الله مقياسًا -عليه الصلاة والسلام-، وقال لَما سئل عن أعمال الفرقة الناجية عن وصفهم قال: «هُم مَن كَانَ عَلَىٰ مَا أَنَا عَلَيهِ وَأَصحَابِي».

وأمر رسول الله -عليه الصلاة والسلام- حينما تتفرق الأمة، وتمزقها الأهواء، ونرىٰ الاختلافات الكثيرة أن نعود إلىٰ ما كان عليه -عليه الصلاة والسلام- هو وخلفاؤه الراشدون -صلوات الله وسلامه عليه، ورضي الله عنهم-.

فقال -عليه الصلاة والسلام-: «وَإِنهُ مَن يَعِش مِنكُم فَسَيَرَىٰ اختِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيكُم بِسُنتِي وَسُنةِ الخُلَفَاءِ الراشِدِينَ المَهدِيِّينَ، عَضوا عَلَيهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُم وَمُحدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٥٤٩).

فيا معشر الشباب، شباب المسلمين جميعًا وشباب المنهج السلفي، ويا معشر السلفيين خصوصًا والمسلمين عمومًا، عليكم بكتاب الله وبسنة رسول الله، فتمسكوا بهما عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا، ومنهجًا، وسلوكًا .. إلىٰ آخر المتطلبات، وسائر التكليفات، تمسكوا بهما، وعضوا عليهما بالنواجذ، ففي ذلك الكمال والعزة والكرامة.

أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يوفق الأمة للعودة الجادة إلىٰ كتاب ربها وسنة نبيها، وأن يرزقها الدعاة المخلصين الصادقين الناصحين لهذه الأمة، وأن يهيئ لهم من الدعاة من ينهض بهم من كبوتهم، ويقودهم إلىٰ ساحل النجاة في هذه الحياة المظلمة، أسأل الله -تبارك وتعالىٰ- أن يحقق ذلك، إنه سميع الدعاء.

وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

الأسئلة

س: كره بعض الصحابة والأئمة كمعاذ، وحذيفة، ومالك طلب الدعاء من الآخرين، فما هو الجمع شيخنا بينهم وبين ما قرره العلماء من جواز طلب الدعاء من الرجل الصالح، والتوسل -كذلك- بدعاء الرجل الصالح، وحديث عمر في «صحيح البخاري»؟

الجواب:

أولًا: النصوص الشرعية ليس فيها تعارض، فالصحابة -رضوان الله عليهم- كانوا إذا احتاجوا إلى الدعاء من النبي ﷺ طلبوا منه الدعاء، فيدعو -عليه الصلاة والسلام-، كما في الأحاديث التي وردت في الاستسقاء، فكانوا يطلبون من

النبي ﷺ أن يستسقي لهم، فيستسقي -صلوات الله وسلامه عليه-(١).

وقد سأل رجلٌ أنسَ بنَ مالك رضي الله عنه أن يدعو له فقال: «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة».

كثير من الناس أصبحوا يتعلقون بمشايخ، فلا يكفُّون عن طلب الدعاء منهم صباحَ مساءَ، ويفرح هؤلاء الشيوخ الجهلة بتعلق الناس بهم، فيدعون كما يريد من يطلب منهم الدعاء، بل قد يتوسعون فيدخلون في الشركيات وفي البدع والضلالات.

فالعالم الحكيم إذا سئل الدعاء يدعو، لكن لما يرىٰ التهافت ويرىٰ الغلو فيه فعليه أن يزجر الناس، ويقول لهم:

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٣)، ومسلم (٨٩٤) من حديث عبد الله بن زيد رضي الله عنه.

أنا لست بنبي حتىٰ تطلبوا مني الدعاء لست أنا الوحيد، فتخصوني بهذا الطلب .

علىٰ كل حال الإنسان يدعو للمسلمين، ويدعو لإخوانه الأحياء والأموات، ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠].

ويرقي الرقية الشرعية في الحدود الشرعية علىٰ الطريقة النبوية، لا علىٰ طرق الرقىٰ الموجودة الآن، والراقين المتأكلين بكتاب الله وبسنة رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، وإذا احتيج إليه في الدعاء، في الاستسقاء وغيره يدعو، لكن إذا رأىٰ الناس تفسد عقولهم وعقائدهم، فعليه أن يبين لهم النهج النبوي من الابتعاد عن الغلو، ومن الإسراف في التعلق بالأشخاص. هذا ما أجيب علىٰ هذا السؤال.

س: ما حكم بيع أو الاشتغال بإصلاح الأجهزة التي لها استعمالات مباحة وأخرىٰ محرمة كالمذياع وغيره بارك الله فيكم؟

الجواب: علىٰ كل حال: الذي يشتغل فيها يجب أن يكون نبيهًا، ويميز بين من يستغلها في طاعة الشيطان، ومن يسخرها في طاعة الرحمن، فمن يرىٰ أنهم يستخدمونها في سخط الله وطاعة الشيطان فلا يتعامل معهم، ولا يصلح له، ومن يرىٰ أنه يستخدمها في طاعة الله أو فيما أباحه الله له فقط فيتعاون معه.

لأنك إذا كنت تعرف أن هذا الشخص يستغل هذا الجهاز في أمور محرمة في الكمبيوتر، في التلفزيون -نستغفر الله- في التطلع إلىٰ العورات، والنساء العاريات، والخلاعات، وما شاكل ذلك من المخالفات فلا يتعامل معه، لأن هذا من

التعاون علىٰ الإثم والعدوان.

وقد سأل رجل الإمام سفيان الثوري قال له: إني أخيط ثياب السلاطين، فهل تراني من أعوان الظلمة؟ فقال له: «أنت من الظلمة، ولكن من أعوان الظلمة من يبيع منك الإبر والخيوط»[١].

فالقاعدة الشرعية في الإسلام: أن المشروع لك أن تتعاون مع الناس مع المؤمنين علىٰ البر والتقوىٰ، ولا تتعاون معهم علىٰ الإثم والعدوان، «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِبَا وَمُوكِلَهُ وَكَاتِبَهُ وَشَاهِدَيهِ»[٢].

و: «لَعَنَ رَسُولُ اللهِ فِي الخَمرِ عَشَرَةً: عَاصِرَهَا وَمُعتَصِرَهَا

---

(١) انظر: «موارد الظمآن لدروس الزمان» للشيخ عبد العزيز بن محمد السلمان (٤/ ١٤٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٩٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

وَبَائِعَهَا وَحَامِلَهَا وَالمَحمُولَةَ إِلَيهِ..»[١]؛ لأن هذه الصور كلها من التعاون على الإثم والعدوان.

فالمسلم الذي يراقب الله -تبارك وتعالى- لا يتعاون مع أحد على إثم أو عدوان أبدًا، وإنما يتعاون بالتقوى، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وفق الله الجميع للتمسك بالكتاب والسنة واتباع الحق، إن ربنا لسميع الدعاء، ونكتفي بهذا القدر في هذا اللقاء الطيب -إن شاء الله- النافع، أسأل الله أن يكون نافعًا.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه الترمذي (١٢٩٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣٥٧): حسن صحيح.

الفهرس